مقدمة في أصول التفسير

لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

بشرح الشيخ مصطفى مبرم حفظه الله

معهد علوم التأصيل التابع لشبكة إمام دار الهجرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذا هو المجلس الثاني من مجالس التعليق والشرح على متن ((مقدمة أصول التفسير)) لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرَّاني الدمشقي –رحمه الله تعالى-، ضمن دروس معهد علوم التأصيل التابع لشبكة إمام دار الهجرة العلمية.

وهو الكتاب التاسع المقرر في برنامج كتب هذا المعهد .

وكان المجلس الأول في الكلام على ترجمة المصنِّف –رحمه الله –، وشيء من التعريف بهذا المصنَّف، أو بهذه الرسالة، أو بهذه المقدمة.

على أنه ينبغي أن يذكر أن هذه المقدّمة التي سميت بـ (مقدمة أصول التفسير) اشتملت على مهام أصول التفسير وقواعده، مع ما وشّاها به شيخ الإسلام وحلّاها به –رحمه الله تعالى– من الكلام على مناهج المفسرين، ومن الكلام على طرق التفسير، ومن الكلام على نقد التفسير أو التفاسير، ومن الكلام على مراتب المفسرين، ونقد المفسرين؛ وكل هذا ظاهر في هذه الرسالة على اختصارها، وقلة ألفاظها، إلا أنها من هذا العالم الإمام المحرِّر –رحمه الله تعالى–.

وينبغي أن أنبه أيضا أن هذه المقدمة في جميع نسخها أكانت المطبوعة ضمن مجموع فتاوى ابن قاسم، أو المطبوعة مفردة على الطبعات المشهورة المعروفة في بعض موضعها نوع من الإشكال سأنبه عليه –إن

شاء الله تعالى– في وقته.

قال –رحمه الله تعالى–: بسم الله الرحمن الرحيم:

وهذه الكلمة تقدم معنا الكلام عليها مرارا: وأنها جزء آية من سورة النمل بالإجماع.

وليست آية من سورة التوبة بالإجمــاع.

واختلف العلماء في ما عدا ذلك من السور، واختلافهم في هذا مشهور معروف.

وأن هذه الكلمة الذي ينبغي أن يستحضره المسلم عند قوله لها: أنها كلمة بركة واستعانة:

كلمة بركة: بذكر اسم الله – سبحانه و تعالى –، وجميع أسمائه فيها.

واستعانة: بالرب الذي لا يستعان إلا به.

قال –رحمه الله تعالى–: رب يسِّر، وأعِن برحمتك:

وهذا تأكيد لما تقدم مما تضمنته به، وهذا المسلك سار عليه بعض أهل العلم؛ يحتمل أن يكون هذا من الناسخ، ويحتمل أن يكون هذا مما أملاه شيخ الإسلام –رحمه الله تعالى–.

قال –رحمه الله تعالى–: الحمد لله، نستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله:

- الحمد لله: وهذا الموضع أيضا تقدم معنا الكلام عليه، والفرق بين الحمد، والثناء، والتمجيد.
- نستعينه: نطلب عونه.
- ونستغفره: نطلب مغفرته.
- ونعوذ بالله من شرور أنفسنا: وهذا من المهمات التي ينبغي أن يراعيها المسلم، وعلى الخصوص طالب العلم؛ فإنه لا يقطَعه شيء مثلما يقطعه شرُّ نفسه؛ فهو الذي يجني عليها.
- ومن سيئات أعمالنا: كذلك؛ فهذا كلّه من أدعية النبي – عليه الصلاة والسلام –.

- من يهده الله فلا مضل له: وهداية الرب لعبده إنما هي محض فضل الله –سبحانه وتعالى–؛ فإذا وقعت الهداية، فلا مضل لهذا العبد.
- ومن يضلل فلا هادي له: هذا عدله –سبحانه وتعالى–.

- وأشهد أن لا إله إلا الله: أقِر وأخبر وأعلم وأعترف وأحكم وما أشبه ذلك مما تضمنته هذه الألفاظ.
- أن لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله.
- وحده لا شريك له: تأكيد.
- وأشهد أن محمدا عبده ورسوله: شهد له بالعبودية وبالرسالة:

العبودية التي تنفي كل غلو فيه، والرسالة التي تردُّ كل تكذيب له.

قال –رحمه الله تعالى–: أما بعد:انتقال مما تقدم، على ما تقدم معنا.

فقد سألني بعض الإخوان: وهذا يقع في كثير من كتب أهل العلم، أن سبب تصنيفهم لها هو طلب بعض إخوانهم؛ إما أن يكونوا من الطلاب أو ما أشبه ذلك.

ولم يذكر في هذه المقدمة من هو هذا السائل؛ لأنّ الأمر ليس مهما.

قال –رحمه الله تعالى–: أن أكتب له مقدِّمة:

ومن هنا أخذ الشَّطي – وهو أول من طبع هذه الرسالة، أحد علماء الحنابلة، من أهل الشأن اسم هذه الرسالة، وأنها مقدِّمة، (أو مقدَّمة).

قال –رحمه الله تعالى–: تتضمن قواعد كلية:

هذا هو مقصود المصنِّف من تصنيفها.

وقد ذكرت لكم مرارا –وأحب أن تعتنوا بهذه الكلمة–، ما قاله الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنجري

–رحمه الله– حين قال: (إنَّ مما يُعين على فهم الكتب (أو التصنيف) معرفة مقاصد المصنفين)، أو بهذا المعنى.

- ✓ فما هو مقصود شيخ الإسلام من هذه المقدمة؟

مقصوده: أنها تتضمن قواعد كلية، و(كلية): هذا تأكيد للقواعد؛ لأن القاعدة لا تكون إلا كلية عند الجماهير، فالقاعدة: حكم كلي يشتمل على جزئيات.

✓ ما دور هذه القواعد؟

قال –رحمه الله تعالى–: (تعين على فهم القرآن).

فهذه القواعد وسيلة لفهم القرآن؛ وهكذا علوم القواعد إنما هي وسائل: قواعد الفقه، قواعد أصول الفقه، قواعد النحو، قواعد المصطلح.

تعين على فهم المقصود بهذا العلم (أو العلم المقصود أَ صالة)، تعين على فهم القرآن، وسيبين –رحمه الله تعالى– مدى أهمية هذا العلم.

قال –رحمه الله تعالى–: ومعرفة تفسيره:

وفهمه مترتِّب على تفسيره، فمن لم يعرف التفسير لم يفهم، وهذا سيأتي أيضا.

قال –رحمه الله تعالى–: ومعانيه:

- إذا، تحصل عندنا أنها قواعد، وأنها متعلّقة بالتفسير؛ فهي قواعد متعلقة بتفسير كلام الله –سبحانه وتعالى–.

وبيَّن أن من مقاصد هذه القواعد: والتميز في منقول ذلك ومعقوله:

الإشارة عائد على التفسير.

-والتميز في منقول ذلك: يعني: في منقول التفسير.

والمنقول من العلم: هو ما نُقل عن صاحبه إما بالأسانيد أو بغيرها.

– ومعقوله: والمعقول ما كان راجعا إلى الرأي والاجتهاد.

- والتفسير قائم على هذين النوعين: تفسير بالنقل، وتفسير بالعقل –تفسير بالرأي–.

قال –رحمه الله تعالى– : والتمييز في منقول ذلك ومعقوله بين الحق وأنواع الأباطيل:

ما هو الحق من المنقول؟ وما هو الحق من المعقول؟ كيف نعرفه؟

في هذه القواعد التي سيذكرها.

- والتّنبيه على الدّليل الفاصل: من أين نأخذ الدليل الفاصل الذي يفصل بين الحق والباطل، في المنقول والمعقول؟ من هذه القواعد.

لم هذا؟ وما هو سببه؟ ما سبب وضع هذه القواعد؟ لماذا تُميز بين الحق والباطل؟ هل معنى هذا أن التفاسير فيها ما هو باطل؟

انظر ماذا قال –رحمه الله تعالى–: فإنّ الكتب المصنَّفة في التفسير مشحونة بالغثّ والسَّمين:

-والغثُّ هو: الهزيل، اللّحم الرديء، الهزيل في الغالب يطلق على هذا، وهو الهزيل من كل شيء، كما جاء في حديث أم زرع في حديث عائشة لما قالت إحدى النسوة: ((لحم جمل غثٍّ)).

-والسَّمين: هو النافع.

–المصنَّفة في التفسير: ظاهر كلام شيخ الإسلام –رحمه الله تعالى– أنه يعم كل التفاسير؛ ولكن حاشا شيخ الإسلام أن يعني هذا؛ لأنّ من كتب التفسير من اقتصر على المنقول، ولم يزد في المنقول

شيئا، وإنما اقتصر على سياق الأسانيد والآثار أكانت مرفوعة، أو موقوفة، أو مرسلة، أو معضلة، أو معلقة، فيقتصر على هذا.

لكن لما صنِّفت التفاسير في الأزمنة المتأخّرة كثر فيها الغثّ، وكثر فيها السمين؛ وكل هذا الذي يُجمِله هنا شيخ الإسلام سينبِّه عليه.

قال –رحمه الله تعالى–: والعِلْم:

وهذه فائدة أيضا عزيزة من فوائد شيخ الإسلام تُعرِّفك ما العلم قبل أن تهجم عليه، كيف تطلب العلم، لا تساوي بين العلم المنقول والمعقول.

قال –رحمه الله–: والعلم إما نقل مصدَّق عن معصوم وإما قول عليه دليل معلوم:

فإذا، المنقول من العلم ، أو العلم الذي يتعاطاه الناس، الذي يتعلّمه الناس:

- إما نقل مصدَّق عن معصوم، و(المعصوم): المعني به ما وقعت فيه العصمة من جهة الشرع؛ أي من جهة الرب –سبحانه وتعالى–، وهذا لا يكون إلا للكتاب والسنة والإجماع.

فهذا العلم معصوم، من أين أخذنا هذه العصمة؟ من الشرع.

- وإما قول عليه دليل معلوم؛ وهذا هو المعقول الذي تقدم بيانه؛ بمعنى: أنّ قائله قاله بمقتضى العقل، وبمقتضى الرأي، وبمقتضى الاجتهاد وهو القول، وهذا لا بدّ أن يكون عليه دليل معلوم.

فالتفسير دائر بين:

- النقل، والنقل إذا صح وثبت فهو معصوم (الكتاب، السنة، الإجماع).
- قول عليه دليل معلوم، وهو العقل، فإذا قال العالم المفسر –أكان ذلك من آحاد الصحابة، أو التابعين، أو من بعدهم من الأمة– إذا قال قولا وكان عليه دليل معلوم فإن هذا أيضا نوع من العلم.
-

قد بين شيخ الإسلام –رحمه الله تعالى– هذا المعنى في جملة من كتبه فقال : ((ما عُلم من جهة الرسول – صلى الله عليه وسلم – فهو نقل مصدَّق من قائل، وما عارض ذلكَ: فإمَّا أن يكون نقلا عن غير مصدَّ ق، أو قولا لغير معصوم، فإنّ كثيرا مما ينقل عن هؤلاء كذبَ عليهم، والصِّدق من ذلك فيه ما أصابوا فيه تارة، وأخطؤوا فيه أخرى، وأكثر عباراتهم ثابتة، ألفاظ مجملة متشابهة.))

هو كان يرد على جملة من أهل البدع والباطنية، ولكن مقصودي من هذا أنه –رحمه الله– بيَّن لنا وحرَّر ما هو المقصود بالمنقول: العلم الذي هو نقل مصدق عن معصوم، والعلم أوالقول: الذي عليه دليل معلوم .

ثم انتقل – رحمه الله تعالى – إلى بيان تأكيد السبب في وضع هذه القواعد، وهذه الأصول.

قال –رحمه الله تعالى–: وحاجة الأمَّة ماسة إلى فهم القرآن الذي هو حبل الله المتين، والذِّكر الحكيم والصِّراط المستقيم، الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يخلق على كثرة التَّرديد، ولا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء؛ من قال به صدَق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدَل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستَقيم، ومن تركه من جبَّار قَصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيرِه أضلّه الله:

هذا يسمَّى التضمين أو اقتباس عند البلاغيين؛ لأنّ هذا الذي ذكره شيخ الإسلام –رحمه الله– كما سينص في موضع آت هو حديث روي مرفوعا، وروي موقوفا؛ جاء عند الإمام أحمد، والترمذي، وعند ابن أبي شيبة، وجمع من المخرجين، من طريق حسين بن علي الجعفري عن حمزة الزيات عن أبي المختار الطائي عن أخي الحارث الأعور عن الحارث الأعور عن علي موقوفا عليه.

والحديث ضعَّفه أكثر الحفّاظ، ومنهم من صحَّحه موقوفا، ومنهم من قال بأنَّه صحيح المعنى –وهذا لا شكَّ فيه وحقّ– ضعيف المبنى؛ لأنَّه كلّما ذُكر فيه من وصف القرآن فهو حقٌّ.

وهنا قال –رحمه الله تعالى: وحاجة الأمة ماسة إلى فهم القرآن:

– حاجة الأمة: بمعنى أنّ من الحاجات أو من الأمور التي تحتاجها الأمة فهم القرآن، وكيف تفهم القرآن إذا لم تفهم قواعده؟ إذا لم يفهم المفسِّر الذي يفسِّر القرآن للناس، ويوصل تفسير القرآن إليهم، ولم يفهم المتلقّي مجمل هذه القواعد، ومن أين أخذ هذا القول، فإنّ هذا لا يمكن أن يتأتَّى.

وإنَّما تحتاج الأمة إلى التفسير لأمور:

- أنَّ الألفاظ المجملة الجامعة التي بُنيت على الاختصار لا يظهر معناها إلا ببيانها، واستشراحها، ومعرفتها؛ فتكون المعَاني الخفيَّة تحت هذه الألفاظ، وهذا راجع حتّى إلى كلام أهل العلم، فإنَّ
المتون التي تُشْحن بالألفاظ المختصرة والمختصرات التي قلَّ لفظها، يكثر معانيها؛ والقرآن فيه شيء كثير من هذا.

- والأمر الثاني: أنَّ لغة العرب في مبانيها يقع فيها الحذف، والتّقدير، وإلحاق النّظير بنظيره وهو ما يسمَّى بالقياس، وأنها أيضا أحيانا تقول اللفظ جامعة بشروطه وموانعه بموضع، وتترك ذلك في موضع آخر؛ فيحتاج المفسِّر أو القارئ لهذا اللفظ أن يعرف هذه المواضع التي فيها الحذف، وفيها التقدير، وما شابه ذلك.

هذا ممَّا عُنِي به العلماء عناية فائقة، وسيأتي معنا فيما يستقبل.

✓ وطالب العلم الذّكي يضع القاعدة، ثم يلْحق النظير بنظيره؛ فيستَفيد علما كثيرا.

- وثالثها: يعني من الأمور التي تمسَّ الحاجة إلى فهم القرآن معها أنَّ اللفظ الواحد المختصر أو المطوَّل يحتمل معان عديدة؛ فيحتاج المفسِّر أن يعرف ما يدخل تحت هذا اللّفظ، وما لا يدخل تحته؛ من جهة الدّلالات، من جهة المطابقة، التَّضْمين اللازم، وما أشبه ذلك.

فالحاجة إذن ماسَّة إلى تفسير القرآن؛ وقد جاء عن مجاهد أنّه قال: «أحبُّ الخلق إلى الله تعالى أعلَم بما أُنزِل».

وهنا شيخ الإسلام – رحمه الله – ذكر لنا هذه الأوصاف التي تضمَّنها حديث علي بن أبي طالب –رضي الله عنه وأرضاه –.

- حبل الله المتين: قد اختلف في تفسير قول الله – عز وجل –: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّه جَمِيعًا ﴾[1]
وطائفة من المفسرين على أنّ المراد بقوله: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّه﴾: الكتاب.

والاعتصام بحبل الله الذي هو الكتاب القرآن اعتصام بالسنة، واعتصام بما كان عليه السلف الصالح.

كما أنَّ من أوصاف هذا القرآن: الذكر الحكيم الصراط المستقيم الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يخلق على كثرة الترديد، ولا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء؛ من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم، ومن تركه من جبَّار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله.

إلى غير ذلك مما تضمَّنه من هذه الأوصاف التي وصف بها في هذا الحديث.

قال – رحمه الله تعالى–: قال تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى ﴾[2]:

وهذه الآية سيعيد شيخ الإسلام –رحمه الله تعالى– ذكرها.

وسنتكلم على ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ﴾:

[1] [آل عمران: ١٠٣]
[2] [طه: ١٢٣- ١٢٦]

ولكن الشاهد هنا أنَّ شيخ الإسلام - رحمه الله - يريد أن يفهمنا بأنَّ من أسباب الإعراض عن ذكر الله عدم معرفة -الذي هو القرآن- لأنَّ شيخ الإسلام يرجِّح هذا ليس التّسبيح والتّهليل هو شيء منه؛ ولكن سيأتي الكلام عليه، المراد به الفاعل أو المفعول سيأتي -إن شاء الله تعالى- ذكر هذا.

لكن الشاهد أنَّ شيخ الإسلام مناسبة ذكره لهذه الآية بعدما تقدَّم من الكلام إنَّما هو إرادة أن يبيِّن أنَّ من أوجه أو من أسباب الإعراض عن القرآن عدم معرفة تفسيره وعدم معرفة معانيه وعدم معرفة مراد الله -جلَّ وعلا- به، لماذا؟

لأنَّ من أعظم مقاصد تنزيل القرآن تدَبُّره؛ وتدبُّره لا يتأتَّى إلا بمعرفة تفسيره، قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾[3] يعني لأجل أن يتدبَّروا آياته؛ اللام فيها للتعليل.

قال -رحمه الله تعالى-: وقال تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[4]:

فهذا النّور كيف ييمُّ في قلب العبد؟ كيف يخرج الإنسان به من الظلمات؟ كيف يهتدي به العبد إلى الصراط المستقيم؟

كيف يصل به العبد إلى سبل السّلام؟ كيف يكون هذا الكتاب مبيِّنا؟

[3] [ص: ٢٩]
[4] [المائدة: ١٥- ١٦]

بمعرفة تفسيره بمعرفة معانيه بمعرفة مقاصده؛ وهذا شيء واضح وهذا الذي يعنيه شيخ الإسلام –رحمه الله– وحاصله وكأنَّه يقول إنَّ من أراد أن ينتفع بأوصاف القرآن وما دلَّ عليه القرآن فعليه بمعرفة تفسيره ومن ذلك أن يتعرَّف على أصول هذا التفسير.

قال: وقال تعالى: ﴿ الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾[٥]:

فبيَّن الربَّ –سبحانه وتعالى– أنَّ هذا الكتاب نزل ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويهديهم أيضا إلى صراط الله الذي هو صراط العزيز الحميد.

وبقَدْرِ ما يكون عند الإنسان من المعرفة بالتفسير بقدر ما يكون عنده من التَّدبُّر بقدر ما يكون عنده من التّذَكُّر بقدر ما يكون عنده من الهداية.

وأنت ولله المثل الأعلى مع تقارب النّاس وقُرب التواصل بينهم؛ إذا سمعت من يتكلم بغير لغتك لا تفهم مراده مع أنَّه ربما يخاطبك في هذا المقام بما فيه نجاتك أو ما فيه هلاكك، لو افترضنا أنَّ شخصا كان يمشي وفي بلد لا يعرفها لا يعرف مداخلها وطرقها وأين توصل هذه الطرق وهو يمشي ويسير؛ طريقه هذا يوصله إلى هلاكه إلى مكان مليء بالهوام إلى ما فيه حفر، وكان هناك رجل يخاطبه بغير لغته بلغة أعجمية مثلا، بل

إذا كانت أعجمية لكنَّه يتكلم الصينية أمام من يحسن الإنجليزية مثلا؛ فهو لا يدري ما يقول هل يحصل له به نجاة؟ هل يحصل له به خروج من هذا الذي هو فيه؟ لا شكَّ أنَّه لا.

[٥] [إبراهيم: ١-٢]

ولهذا مع ما في القرآن من البَيان ومع أنَّ القرآن بيِّن إلا أنَّ بعض أموره تحتاج إلى بيان وإلى تفسير وإلا فإنَّ القرآن كما قلت لك بيِّن.

ربُّنا –سبحانه وتعالى– جعله بيانا وبيَّن ما فيه، وبين النبي – عليه الصلاة والسلام– أيضا ما في هذا القرآن وما يحتاجه النّاس وإنّما تُضْرب الأمثال من أجل زيا دة الإيضاح والبيان ولهذا الله –جلَّ وعلا– قال في كتابه الكريم في أوَّل سورة الزخرف: ﴿ حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾[٦].

وقال – جلَّ وعلا– في أول سورة يوسف :﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ (يوسف:١).

وقال أيضا في سورة الحجر: :﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ﴾ (الحجر:١).

وقال: ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران:١٣٨).

وقال: ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ (المائدة:٩٢).

وقال –عز وجل–: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (النحل:٤٤).

فهذا القرآن فيه البيان؛ ليس غَامِضًا، ولكن قد يقع هذا الغُموض لمن أعْرض عنه.

فإذا سمع العبد آيات الله المتلُوَّة المبيِّنة التي بيَّن الله –سبحانه وتعالى– فيها توحيده وأسماءه وصفاته فإنَّ هذا يقع به غايةُ البيان، لا كما يزعم الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة والمعطِّلة من أنّه يقع فيه عدم البيان أوتقع فيه الحيرة أو ما أشبه ذلك.

ولكن المقصود هو الحضُّ والحثُّ على معرفة تفسير ما لا يعلمه الإنسان من القرآن.

[٦] [الزخرف: ١-٢]

قال المصنف –رحمه الله تعالى–: وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ (فصلت:٥٣،٥٢).

جمع شيخ شيوخنا العلامة صالح البليهي –رحمه الله– كتابا في أوصاف القرآن في مجلّدين ضخمين، نعم؛ هو ذكر أقولا من هنا ومن هناك وذكر أقوما من هنا ومن هناك، ولكن الكتاب فيه فوائد عظيمة.

وفي كتاب "أقسام القرآن" لابن القيم –رحمه الله– الشّيء الكثير مما يقع من هدايات القرآن، فهذه الكتب مهمة جدّا.

والله –سبحانه وتعالى– جعل القرآن للقلب الذي فيه إيمان روحا كالرُّوح التي للجسد التي لا يقع فيه حركة إلا بها، فكما أنّ الجسد لا يتحرك إلى مصالحه إلّا بالروح التي بها حياته فكذلك القلب لا يتحرك إلى دينه ومصالحه ورضى ربه إلا بهذا الروح الذي هو القرآن.

كما أنه أيضاً نور للقلب ونور للبصر كالنور الذي يمشي به الإنسان في البصر في الدنيا.

أو من كان ميتاً فاحييناه: بأي شيء؟ بالقرآن.

وجعلنا له نور يمشي به في الناس: بأي شيء؟ بالقرآن،كمن هو في الظلمات ليس بخارج منها.

وهذا القرآن فيه هداية إلى الصراط المستقيم، فمن أعرض عن القرآن لا شكّ في ضلاله، وهذا الإعراض قد يكون مزعوماً مع الإقبال عليه بمعرفة حروفه وقراءاته وقواعده وإعرابه إلا أنّه يعرض عن ما دل عليه هدى القرآن.

قال شيخ الإسلام –خاتما لنا هذه التوطئة–:

وقد كتبت هذه المقدمة مختصرة بحسب تيسير الله تعالى من إملاء الفُؤَاد والله الهَادي إلى سبيل الرَّشَاد:

وإنما نص إنها من إملاء الفؤاد في هذا الموضع وإلا فإن عامة ما كتبه من إملاء الفؤاد، كما تعرفون كتابته (كتابته للواسطية) بعد العصر بمجلس و(الحموية) كذلك.

بل أعجب ما رأيته مما كتبه شيخ الإسلام –رحمه الله تعالى– ولم يراجع فيه كتاباً هو كتابه (الصارم المسلول على شاتم الرسول)؛ لأنه صنّفه في السجن؛ ومن رآه ونظر إلى الروايات والأقوال والأوجه التي حكاها شيخ الإسلام يصيبه الذّهول كما أصاب الذّهبي الذهول عندما حكى البرقاني تلميذ الدار قطني، أنّ الدار قطني أملى (العلل) من حفظه.

وأظن أنه مرَّ عليَّ في ترجمة شيخ الإسلام للبرغالي أيضاً أنّه أصابه ذهولٌ لما رأى كتاب (الصَّارِم المسلول) وأنّ شيخ الإسلام كتبه من حفظه وهو في السِّجن.

فهو يقول: وقد كتبت هذه المقدمة أو المقدَمة مختصِرة:

هي مختصرة، ولو (...)[٧] شرحا بالمعنى الذي يريده المتكلم لأتى على أشياء من العجب فشيخ الإسلام أودع فيها:

أصول علم البلاغة، أودع فيها أصول علم النحو.

أودع فيها –لا أزعم هذا حتى لا تنصدموا– لكن أقول أصول من علم النحو، أصول من علم البلاغة، أصول من علم المصطلح، أصول من علم التفسير، أصول من علم اللغة بفقهها، جاء –رحمه الله تعالى– بهذه الرسالة، بأنواع من العجب.

---

[٧] انقطع الصوت: ٣٢:٣٦

قال –رحمه الله تعالى–: (فصل).

– فصل: يعني بين ما تقدم وما هو آت.

يجب أن يعلَم أنّ النبي –صلى الله عليه وسلم– بيَّن لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه، فقوله تعالى: {لتبيِّن للنَّاسِ ما نزِّلَ إلَيْهِم} [النحل: ٤٤] يتناول هذا وهذا.

وقد قال أبو عبد الرحمن السُّلَمِي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي –صلى الله عليه وسلم– عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا.

ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة.

وقال أنس: كان الرجل إذا قرأ البقرة وآ ل عمران جلَّ في أعيننا.

وأقام ابن عمر على حفظ البقرة في عدَّة سنين، قيل: ثماني سنين، ذكره مالك.

وذلك أن الله تعالى قال: {كتابٌ أنزلْناه إلَيْكَ مبارَكٌ لِيَدَّبَّروا آياته} [ص: ٢٩].

وقال: {أفَلا يتدبَّرون الْقرآنَ} [النساء: ٨٢،محمد: ٢٤].

وقال: {أفلَم يدَّبَّروا الْقَولَ} [المؤمنون: ٦٨]، وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن.

وكذلك قال تعالى: {إنَّا أنزلْناهُ قُرآنًا عربيًّا لعلَّكُم تعْقلُونَ} [يوسف: ٢] وعقْل الكلام متضمن لفهمه.

ومن المعلوم أن كل كلام فالمقصود منه فهم معانيه دون مجرَّد ألفاظه، فالقرآن أولى بذلك.

وأيضا، فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتابا في فنٍّ من العلم كالطب والحساب ولا يستشرحوه، فكيف بكلام الله تعالى الذي هو عصمتهم، وبه نجاتهم وسعادتهم، وقيام دينهم ودنياهم؟.

ولهذا كان النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليلا جدا، وهو وإن كان في التابعين أكثر منه في الصحابة، فهو قليل بالنسبة إلى من بعدهم.
وكلما كان العصر أشرف كان الاجتماع والائتلاف والعلم والبيان فيه أكثر.
ومن التابعين من تلقى جميع التفسير عن الصحابة، كما قال مجاهد: عرضت المصحف على ابن عباس أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها.
ولهذا قال الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به.
ولهذا يعتمد على تفسيره الشافعي والبخاري وغيرهما من أهل العلم.
وكذلك الإمام أحمد وغيره ممن صنف في التفسير يكرر الطرق عن مجاهد أكثر من غيره.
والمقصود أن التابعين تلقوا التفسير عن الصحابة، كما تلقوا عنهم علم السنة، وإن كانوا قد يتكلمون في بعض ذلك بالاستنباط والاستدلال، كما يتكلّمون في بعض السنن بالاستنباط والاستدلال.

هذا المبحث قرَّر فيه شيخ الإسلام –رحمه الله تعالى– أمرين اثنين:

- الأمر الأول: هو هل فسَّر النبي –صلى الله عليه وسلم–، –كما فهمه بعض المعاصرين–، هل فسر النبي –صلى الله عليه وسلم– القرآن لأصحابه، وأخذ الصحابة عنه التفسير وأخذ التابعون التفسير عن الصحابة، هذا الأمر الأول .

- الأمر الثاني: منزلة وأهمية تفاسير الصحابة وتفاسير التابعين وأن الخلاف بينهم قليل في هذا العلم، – يعني في التابعين قليل وفي الصحابة أقل– بسبب أنهم أخذوا التفسير من هذا الطريق ولهذا قال: (لأنه كلما كان العهد قريب من زمن النبي –عليه الصلاة والسلام– ، وكلما كان العصر أشرف كان الاجتماع والائتلاف والعلم والبيان فيه أكثر).

وهذا إلى يومنا هذا، إذا كان أهل مجتمع يحكمون الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة فإنّ هذا المجتمع يكون أقل المجتمعات خلافاً .

صورة المسألة التي سبق الكلام عليها هي كما عبر عنها الذّهبي محمد حسين الذهبي المصري أظن توفي سنة ١٣٩٣ هـ من هذا القرن الذي اغتالته جماعة التكفير والهجرة ؛ كتابه العظيم الحافل في مجلدين (التفسير والمفسرون) فهم من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– أنّ العلماء اختلفوا –عليهم رحمة الله– في مسألة تفسير القرآن من جهة النبي –عليه الصلاة والسلام–.

- صورة المسألة: هل فسَّر النبي –صلى الله عليه وسلم– القرآن أو كل القرآن لأصحابه.
  أو قُل بمعنى آخر ، هل يفهم كلام شيخ الإسلام –رحمه الله تعالى– في هذه المقدِّمة وفي هذا الموضع بالذات أنه يريد أنّ النبي –صلى الله عليه وسلم– فسَّر القرآن لأصحابه.

الذي خَلُص إليه الشيخ محمد حسين الذهبي هو أن المسألة فيها قولان لأهل العلم :

- أن من أهل العلم من قال أنّه لم يفسر؛ وهذا أيضاً فهمه قبله فيما يظهر السيوطي في كتابه (الإتقان في علوم القرآن)؛ هل فسَّر النبي عليه الصلاة والسلام القرآن؛ جميع القرآن للصحابة؟.
  أم أنّه فسّر مواضع من القرآن على حسب الحاجة ؟ هذا الذّي فُهِم من كلام شيخ الإسلام فيه الخلاف.

- ✓ وتحرير المسألة: أنّه إذا أُريد التّفسير الاصطلاحي الذّي يعرف به معنى اللّفظ والدّي سار عليه تفاسير الأئمة بحسب اختلافها؛ إمَّا إذا قلنا بغريب اللّفظ وهو غريب المفردات، ما معنى: سامِدُونَ كذا وكذا.
  أو قيل بأنَّ هذا التَّفسير الدّي فَهِمه من قال بهذا الخلاف الدّي أراده شيخ الإسلام أو فُهِم من كلامه التّفسير الاصطلاحي الذي هو تفسير لآيات القرآن أو لجمله أو لألفاظه، فهذا المعنى لا يفهم من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–.

ومن حرَّر كلام شيخ الإسلام الموجود في هذه المقدِّمة فضلا عن أن يستقرئ – ناهيك عن أن يستقرئ – كلام شيخ الإسلام في سائر كتبه لا يفْهم هذا المعنى.

ولهذا ذكر عن ابن عبَّاس في هذه المقدِّمة: أولا ذكر الخلاف في التفسير وأنواع الخلاف في التفسير، ولو كان النبي – عليه الصلاة والسَّلام – فسَّر القرآن لأصحابه لقلَّ الخلاف على الأقلَّ، لأنَّه قد يقول لنا قائل: أيضا أحاديث الأحكام جاءت ومع هذا اختلف النَّاس في تفسيرها.

فلو كان شيخ الإسلام – رحمه الله – أراد هذا المعنى لما نَقل هذا الخلاف في التّفسير.
وحتَّى أنَّ بعض الباحثين للأسف الشديد فَهِم من كلام شيخ الإسلام وبنَى عليه أمرا وهو أنَّ الصَّحابة – رضي الله عنهم – تهاونوا في نقلِ تفسير النّبي – عليه الصَّلاة والسَّلام – هذا معنى كلامه، تهاونوا أو فرطوا في نقل تفسير النّبي – عليه الصَّلاة والسلام – للقرآن، وهذا بعيد كلَّ البعد أن يقصد شيخ الإسلام التّفسير الاصطلاحي الذّي يريد أن يتكلم على قواعده، هذا بعيد.

- لكنَّ شيخ الإسلام أيضا ذكر في هذه المقدمة طُرق التّفسير في قول ابن عبَّاس: تفسير القرآن بالقرآن، تفسير القرآن بالسنَّة، تفسير القرآن بأقوال الصَّحابة، تفسير القرآن بأقوال التّابعين.

أيضا ذكر قول ابن عبَّاس في أقسام التّفسير: بأنّ منه ما لا يعلمه إلّا الله، ومنه ما يعلمه النَّاس بلغتهم، وهكذا.
فشيخ الإسلام لم يرد هذا المعنى الاصطلاحي الذّي اصطلح عليه المفسِّرون، وإنَّما أراد – والعلم عند الله – من ظاهر كلامه: أنَّ هذا البيان واقع في القرآن بمعنى أنَّه ليس فيه ما يقع به الخفاء الذّي لا يعرفه أحد ممَّا تحتاجه الأمَّة ومما ذكرته لك من النّصوص والأدلة في أنَّ القرآن بيِّن ومبيَّن وبيان، كلَّ هذا يؤكّد هذا المعنى.

شيخ الإسلام عبارته قال: يجب أن يعلَم أنّ النّبي –عليه الصلاة والسلام– بيَّن لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه، فقوله تعالى: ﴿لتُبيِّنَ للنَّاسِ ما نُزِّلَ إليهم ولَعَلَّهُمْ يتفكرونَ﴾ (النحل:٤٤) يتناول هذا وهذا.

على أنَّ هذا الموضع أيضا محلُّ إشكال، لكن أن يفهم منه أنَّ المراد هو التفسير الاصطلاحي الذي اصطلح عليه المفسِّرون، ثمَّ نأتي ونقول بأنَّ هذا التَّفسير وقع فيه هذا النَّوع من الخلاف؛ هذا فيه بعدٌ على الأقل ولا يفْهم منه هذا المعنى .

وممّا يدلّ على هذا المعنى أنّ شيخ الإسلام –رحمه الله تعالى– له كتاب سمَّاه ((تفسير آيات أَشْكَلَت)) وهو مطبوع في مجلدين، حتى كاد لا يعرف في تفسير (...) في القول صواب.

ولو كان النبي –عليه الصلاة والسلام– قد فسر هذا، –وحاجة الناس أمس كما ذكر هو شيخ الاسلام، –وهذا سنتكلم عليه في الدرس القادم زيادة، وفيما يستقبل من أوجه تفسير السنة للقرآن–.

لو كان أراد هذا المعنى شيخ الإسلام –رحمه الله تعالى– تظافرت الجهود في نقل مثل هذا التفسير عن النبي –عليه الصلاة والسلام– أكثر مما نقلوا من العلوم الأخرى الواردة عنه –عليه الصلاة والسلام–.

ولكن هذا على كل حال مع كونه في موضع الإشكال على ما فهمه السيوطي، وعلى ما فهمه أيضا الشيخ محمد حسين الذهبي، وعلى ما فُهِم أيضا من كلام آخر للعلامة ابن القيم في غير هذا الموضع.

إلا أنّ على الأقل فيه من التردّد ما فيه بسبب هذه الوجوه التي ذكرناها من كلام شيخ الاسلام في وجود الخلاف في التفسير؛ في وجود أوجه التفسير أنّ من القرآن ما فُسِّر بالقرآن، من القرآن ما فُسِّر بالسنّة، من القرآن ما فُسِّر بأقوال الصحابة، من القرآن ما فُسِّر بلغة العرب ووجوه استعمالاتها وما أشبه ذلك.

بهذا القدر إن شاء الله سنكتفي، وعند قراءة الدرس القادم سنعلّق على هذه المواضع التي قُرأت، لن نحتاج إلى قراءتها مرة أخرى؛ لأننا قد صورنا ما فُهِم من كلام شيخ الإسلام –رحمه الله تعالى– بها.

والله تعالى أعلم –وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم–.

- قراءة في المورد العذب الزلال:

قال شيخنا النجمي –رحمه الله–:

فإن ورد الأمر بالعبادة مطلقا في بعض المواضع فهو محمول على المقيد كما تقرر في الأصول.

ويستفاد من هذا أن أي عبادة تكون مخلوطة بالشرك فإنها مردودة على صاحبها وغير مقبولة منه البتة، ويؤكد هذا ويدل عليه ما ورد في الحديث القدسي وهو:

الدليل الثالث: أنّ النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عن ربه جل وعلا أنه قال: ((أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عمل أشرك معي فيه غيري تركته وشركه)).

الدليل الرابع: أنّ الله عز وجل وصف المعبودين بالعجز وعدم القدرة على جلب النفع لمعبوديهم فقال: {ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم} (الفرقان:٥٥).

وقوله على لسان إبراهيم عليه السلام أنه قال: {إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون} (العنكبوت:١٧).

الدليل الخامس: أن الله –عز وجل– وصف المعبودين بالعجز عن الخلق والإيجاد حتى لأضعف المخلوقات وأحقرها ولو اجتمعوا كلهم فقال: { إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ} (الحج: ٧٣).

الدليل السادس: أن جميع الآلهة المتخذة مخلوقة والمخلوق الذي وجد بعد العدم لا يصح أن يكون إلها فقال جل من قائل: { وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا}(الفرقان:٣).

الدليل السابع: أن الله –عز وجل–أخبر أنّ العابدين والمعبودين سيردون إلى جهنم ويكونون وقودا لها وهذا إنما يتحقق في المعبودين الذين رضوا بعبادة أنفسهم من دون الله فقال جل من قائل: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ } (الأنبياء: ٩٨،٩٩).

الدليل الثامن: أن الله عز وجل قرر ضعف المدعوين من دونه وإفلاسهم وفقرهم فقال: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ }(سبأ:٢٢).

ولما امتن الله على عباده بذكر شيء من أنعمه التي بدأها بقوله: { وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ} إلى أن قال: { يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ } (فاطر: ١٣،١٤).

ثم قال: { يا أَيُّها النَّاس أَنتم الْفُقَراء إِلَى اللَّه ۚ واللَّه هو الْغَنِيُّ الْحَميدُ إن يشَأْ يُذْهبكُم ويأْت بخلْقٍ جديد وما ذَلك علَى اللَّه بعزيزٍ} (فاطر: ١٥،١٦).

فهل أصحاب الأضرحة وسكان القبور الذين يضفي عليهم أصحاب النحلة الصوفية القداسة ويدعون لهم شيئا من التصرف داخلون فيما أخبر الله –عز وجل– به عن كل من عبد من دونه من العجز والضعف وعدم الملك وعدم القدرة على ما يطلب منهم ، فإن قلتم يا من تدعونهم من دون الله، وأنتم يا من تقرون

ذلك وتزعمون أنه ليس بمنكر، نعم؛ خصمتم ولزمكم أن تذعنوا للحق وتعودوا إلى الصواب فتتركوا عبادة غير الله وتنكروا الشرك وعبادة الأصنام ، فإن قلتم: نحن لا ندعوا الأصنام وإنما ندعوا الأولياء الذين قال الله عنهم : {ألا إنَّ أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون}(يونس: ٦٢).

- الأسئلة:

١– يقول هذا السائل: كيف يعرف الطالب أنه فهم تفسير الآية؟

ج– هذا الأمر سيأتي كلام عليه –إن شاء الله تعالى– التفسير بالرأي وأن من قال في القرآن برأيه فقد أخطأ وإن أصاب سيأتي تحرير هذه المسألة.

ولكن أجيب على سؤال السائل هو أنه إذا قرأ في التفاسير المعتمدة التي سارت على طريقة أئمة السنة كتفسير ابن جرير، وتفسير البغوي، وتفسير ابن كثير، وما تبعها من التفاسير المعاصرة، كتفسير أضواء البيان، وتفسير السعدي، وغيرها من التفاسير المتقدمة كثيرة جدا تفسير ابن أبي حاتم، وغيرها كثير، فإذا قرأ في التفسير وعلم تفسير هذه الآية ثم سئل عنها أو عبَّر عنها أو أراد أن يتحدث عنها بما دل عليه ما قرأه من كلام أهل العلم فإنّه يكون قد فهم التفسير وإن لم يعبِّر بنفس

ألفاظهم؛ لأن هذا متعذّر وصعب أن يأتي بنفس عبارات ابن جرير أو عبارات ابن كثير أو عبارات غيرهم هذا صعب جدا.

فإذا قرأ في هذه التفاسير المأمونة والحمد، أيضا من الأشياء المعينة على هذا عرض ما فهمه على أهل العلم وطلاب العلم حتى ينظر في نفسه.

٢- يقول: هل التفسير قطعي أم ظني؟

ج- دعوكم من هذا الكلام و تعلموا العلم ولا تدخلوا في مثل هذه الأبواب التي تصدكم عن السبيل وأنتم لا تعلمون.

وما جاءتنا هذه الأفكار وهذه النحل إلا من قبل المتكلمين، ولسنا عاجزين ولله الحمد على أن نتكلم على قطع ولا ظن، والسؤال عن مثل هذه الأشياء ليس فيه خير للطالب المبتدئ.

القطعي والظني وما شاكل ذلك معلوم دلالة ألفاظها من درس أصول الفقه ومن درس حتى المنطق درسناه في القديم وفي الحديث؛ يعلم أنهم إنما يريدون بمثل هذه الألفاظ أن يسقطوا حجج الكتاب والسنة.

وخلاصة الأمر أن ما يتعلق بالقطعي والظني مسألة وجدانية فبقدر ما يكون عندك من العلم والتمكّن فيه للوصول إلى المراد الذي أُنزل القرآن وأُنزلت السنة من أجله، فإن هذا هو القطع في حقك.

فأنت حين تصل إلى تفسير آية في كتاب الله –سبحانه وتعالى– بمقتضى العلم في أصوله وقواعده والنظر في تفاسير الأئمة، ما الذي تسمي هذا؟ إن أريد الظن الاصطلاحي الذي اصطلح عليه الأصوليون وهو ما قابل الراجح فهذا قد يحتمل، قد يحتمل هذا الكلام، ويحتمل هذا اللفظ، لأنه قد وقع الخلاف في هذا التفسير في المواضع التي اختلف فيها، وإن كان –كما سيأتي معنا في الدروس القادمة– عامة ما وقع من الخلاف في التفسير بين السلف إنما هو تفسير من جهة اختلاف التنوع أو اختلاف الأفهام، وأما اختلاف التضاد فإنه مع وجوده قليل أو نادر والحمد لله، والقول بأنه قليل أو نادر يدل على أننا إذا استخدمنا أو استعملنا مثل هذه الألفاظ قطعي ظني، حتى أنه قد يناقشونك في مثل هذه ويفرعون على هذه المسائل ما يتعلق بتوحيد الألوهية توحيد الربوبية توحيد الأسماء والصفات، إذا قلنا بأن التفسير ظني

فيدخل فيه تفسير الأسماء والصفات ويدخل فيه تفسير توحيد الألوهية، اتركوا هذا المقام ولا يدخلوا عليكم بمثل هذه الشبهات والتلبيسات والأصول التي يفسد بها فهمكم لمعاني القرآن والسنة.

٣– يقول: هل التفسير بالرأي مردود كله؟

ج– لا تعجلوا على رزقكم –كما يقولون– لأن هذا كله سيأتي معنا، سيتكلم شيخ الإسلام –رحمه الله تعالى– على التفسير بالرأي وعلى التفسير بالنقل.

٤– هل يمكن حفظ القرآن كاملا ثم دراسة التفسير بعد ذلك؟

ج- هذا على حسب سنِّ السائل فإن كان دون سنِّ التّعبد الذي يسمى بسن التكليف، فننصحه بأن يحفظ القرآن و يتقنه، أما إذا كان يحفظ القرآن وهو في سن التعبد أ وفي سن التكليف فإنه يتعرَّف على القرآن ما تقوم به صحة صلاته، كمعرفة سورة الفاتحة، ومعرفة ما يقوم به من أمور الشرع من الواجبات التي تجب عليه، يعرف تفاسير أو تفسير -سواء عرفها من جهة تفسير أو عرفها من جهة الفقه- تفسير آيات الصيام وأحكامها تفسير آيات الزكاة وأحكامها، وما أشبه ذلك هذا داخل فيما يتعلق بالتفسير.

٥- يقول: هل تنصحون أن يبدأ الطالب بتفسير ابن كثير مباشرة؟

ج- هذا أيضا على حسب السائل، لو بدأ حتى بتفسير ابن جرير في الزمن الذي صنّف فيه تفسير ابن جرير ما كان إلا تفسير ابن جرير، فنأتي نقول لأصحاب ذاك الزمان ابن جرير توفي سنة ثلاث مئة وإحدى عشرة نقول لهم لا انتظروا حتى يصنف ابن كثير تفسيره ثم تقرؤون تفسيره بعد ذلك تقرؤون تفسير ابن جرير، هذا على حسب مستوى الإنسان وعلى حسب أيضا وجود الكتاب الآخر فمن كان بين يديه مثل تفسير البغوي أو تفسير السعدي بدأ به قبل تفسير ابن كثير، تفسير البغوي أخصر من تفسير ابن كثير وأقل إيرادا للخلاف في التفسير كما هو معلوم من قرأ في التفسيرين، وإذا قرأ في تفسير ابن السعدي -رحمه الله- الأمر أيضا حسن وإلا فماذا سيقرأ؟

أيضا التفاسير المعاصرة التي يسمونها بالميسر وتفسير المسهل وتسهيل التفسير وما أشبه ذلك، لا يتأتى معرفتها أو الوصول إليها لكل أحد، فإذا قرأ في تفسير ابن كثير -الحمد لله- هو تفسير سلفيٌّ صرفٌ وهو

كما قال الشوكاني: (إن لم يكن أحسن التفاسير فهو من أحسنها)، وهذا ما سمعته من شيخنا مقبل، وهذا ما سمعته أيضا من شيخنا الفوزان –حفظه الله– مرارا.

تفسير ابن كثير تفسير جليل ومن له إطلاع على اعتقاد السلف وعلى مداخل المعتزلة والأشاعرة في تفسير الآيات حتّى في معاني الحروف، ثم ينظر إلى وجه تفسير ابن كثير –رحمه الله تعالى– يجد أنه لا يذكر من التفسير إلا ما وافق اعتقاد السلف صِرفًا وهذا أمر معلوم.

لو نظرت في الآيات التي احتج بها المعتزلة، احتج بها الأشاعرة، احتج بها الماتوردية، يجد ابن كثير –رحمه الله– دون أن يذكر لك لا إعراب ولا بلاغات ولا هذه الوجوه، إنما يضعك في الموضع الذي كان عليه السلف في فهم التفسير.

٦– يقول: كيف تكون القراءة والاستفادة الصحيحة من كتب التفسير؟ وما الكتب التي تنصحون بها؟

ج– أما الكتب التي ننصح بها فهي التي ذكرنا قبل قليل، والآن صارت تطبع كتب لكتب السلف طبع (تفسير ابن أبي حاتم)، و(تفسير ابن جرير) ولله الحمد تفسير كبير ضخم معتنا به، (تفسير ابن كثير) –رحمه الله–، تفسير البغوي.

وينبغي أن يعلم أن (تفسير أضواء البيان) أيضا هو موجود في تفسير ابن كثير، لأن ابن كثير –رحمه الله– فسر القرآن بالقرآن ثم بالسنة وهكذا.

الشاهد أن هذه التفاسير هي تفاسير مأمونة، أمَّا كَيفيَّة القراءة: فهو كغيره من العلوم، خذ المقطع الذي تريد أن تحفظه أو تريد أن تقرأ به، إما على خمس آيات أو عشر آيات، وانظر إلى تفسير الألفاظ أوتفسير

اللفظ أو الجمل الذي قرره مثلا الحافظ ابن كثير في تفسير آية معينة، فإن زدت إليها ما يشبهها من الأدلة على تفسير هذا الموضع، وإلا –الحمد لله– حصل المقصود بأن وقع في ذهنك ووقع في قلبك التّفسير الصحيح للآية.

٧- يقول: ما رأيكم في (شرح مساعد الطيار) للمقدمة؟

ج- لم أطلع عليه وليس لي حرص على كتب المعاصرين، هناك (شرح الشيخ ابن عثيمين) –رحمه الله تعالى–، (شرح الشيخ صالح آل الشيخ)، (شرح الشيخ محمد بازمول)، وإن كان بعضها أيضا لم يتم الإطلاع عليها إطلاعا كاملا وبعضها قرأت قراءة كاملة، لكن هذا الشرح رأيته ولم أقرأه في الحقيقة.

والذي رأيت أن بعض الذين ينقلون عنهم يقولون بأنه اعتنى بجمع كلام شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله– في مواضع أخرى من كلامه.

فإذا كان عندك مثلا (شرح الشيخ محمد ابن عثيمين) –عليه رحمة الله– الحمد لله هو شرح مطبوع ومتداول أو (شرح الشيخ الدكتور) أو (شرح الشيخ صالح آل الشيخ) أو أن تنظر في مالا نعرفه من الشروح والحكم على الشيء فرع عن تصوره.

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين

والسلام عليكم و رحمة الله و بركاته.